على الأنبياء لتعظم قدرهم كما قال عليه السلام أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل أو أدى
فعله إلى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل بشأنه
لا يقال إنه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما إني لكما لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين
ما قاله إبليس فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أن نسي ذلك
وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن أن
النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان
المراد بها الإشارة إلى النوع كما روي أنه عليه السلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان
على ذكور أمتي حل لإناثها وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده وفيها دلالة
على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبع الهدى مأمون العاقبة وأن
عذاب النار دائم وأن الكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم
أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فإنها
من حيث إنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والأمر وحده لا شريك له ومن حيث
إن الإخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها إخبار بالغيب معجز
يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الإنسان وأصوله وما هو أعظم من ذلك
تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادرا على الإبداء خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا
نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد وما أنزل عليه فقال
يا بني إسرائيل أي أولاد يعقوب والابن من البناء لأنه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال
أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وقرئ إسرائل بحذف الياء وإسرال بحذفهما وإسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي بالتفكر
فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور حسود بالطبع فإذا نظر إلى ما أنعم الله
على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وإن نظر إلى ما أنعم عليه حمله حب النعمة على الرضى
والشكر وقيل أراد بها ما أنعم على آبائهم من الإنجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم
من إدراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والأصل اذتكروا ونعمتي بإسكان الياء وإسقاطها درجا
وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها وأوفوا بعهدي بالإيمان والطاعة أوف بعهدكم
بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد ولعل الأول مضاف إلى الفاعل والثاني إلى المفعول
فإنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم
وللوفاء بهما عرض عريض فأول مراتب الوفاء منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى الفوز
باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام أوف بعهدكم في رفع الآصار
والأغلال وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب أو أوفوا بالاستقامة

على الطريق المستقيم

على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر إلى الوسائط وقيل كلاهما مضاف إلى المفعول
والمعنى أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعات أوف بما عاهدتكم من حسن الإثابة
وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل إلى قوله ولأدخلنكم جنات تجري وقرئ
أوفّ بالتشديد للمبالغة وإياي فارهبون فيما تأتون وتذرون خصوصا في نقض العهد وهو
آكد في إفادة التخصيص من إياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد
والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحدا إلا الله وآمنوا بما أنزلت
مصدقا لما معكم إفراد للإيمان بالأمر به والحث عليه لأنه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بأنه
مصدقا لما معكم من الكتب الإلهية من حيث إنه نازل حسب ما نعت فيها أو مطابق لها في القصص والمواعيد
والدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش فيما يخالفها من جزئيات
الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث إن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيها صلاح
من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في أيام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما
وسعه إلا اتباعي تنبيه على أن اتباعها لا ينافي الإيمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا أول كافر به
بأن الواجب أن تكونوا أول من آمن به ولأنهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه وأول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك
كسانا حلة فإن قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على
ما نطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست بجاهل أو ولا تكونوا أول كافر من أهل الكتاب أو ممن كفر بما معه فإن
من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة وأول أفعل لا فعل له وقيل أصله
أوأل من وأل فأبدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي أو أأول من آل فقلبت همزته واوا فأدغمت ولا تشتروا بآياتي
ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة
بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا
منهم فخافوا عليها لو اتبعوا الرسول فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه
وإياي فاتقون بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ
لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولأن الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة
التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق
بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما أو لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في خلاله أو
تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ونهوا عن
الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق والإخفاء على من لم يسمعه أو نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع أي لا

Copyright © King Saud University